الفصل الثامن عشر

عدت للشركة ومارست عملي ولكن بروح ثانية أرتدي عباءة الحزن والغربة، رغم وجود أحمد بقربي كان شبح الخوف يعتدي على مشاعر الحب، أو ربما كنت أريد البقاء كما أنا خوفا من القرب أكثر حتى لا يزول إحساسي بتلك النشوة بالحب والانتظار، لا أعلم ولكني كنت دائما أجد مبررات لتبقى علاقتي بأحمد تقف عند حدود المشاعر المتوقدة دون أي محاولة لإطفاء لهيب الشوق، كنت أشعر بلذة البعد ورغبة لا أريد الوصول إليها، بينما أحمد كان يزيد توتره وقلقه مني، ولا يجد تفسيرا لما يحدث رغم يقينه أني مغرمة به حد الوله كنا نتقابل كل يوم نجلس في أحد المطاعم قعد أن أبلغته كان حريصا أن نكون على الغداء معا ليضمن أني أتناول غدائي بعد أن أبلغته به الخادمة حليمة بعدم رغبتي للطعام. وكل لقاء لنا يلح على عودتي للمنزل، يقول:

- هو بيتك حبيبتي أريد أن أطمئن عليك أرجوك.

- وأجيبه لا أستطيع بعد وفاة والدتي من يحميني من ألسنة الناس التي لا ترحم.

- إذًا أنا أتقدم لخطبتك الآن لاتتسرعي بالرد غدا نلتقي وأعلم ردك.

في الواقع رغم سعادتي بطلبه لحظتها لكن غمامة الحزن أيضا لم تفارقني وشعرت أنها مجرد ثوانٍ وأكون على حافة البكاء، لحظتها فكرت أن علي استشارة أحد عن حالتي تلك، هذا المزيج الذي يعتريني بين حبي له ورغبتي بالالتحام معه إلى الأبد، وتلك الحالة من الذعر التي تصيبني فجأة وابتعد وكأني أمام شبح مع كل الحب أخاف ما بعد الانصهار الذي قد يجمعنا أنظر إليه شاردة وداخلي جيوش من الأسئلة تهاجم رأسي.

-حياة حبيبتي أي ذهول أصابك تكلمي مابك أين أنت مما قلت؟

-لا أبدا ولكن تأخرت أراك غدا

-الليلة أريد أن أراك مساء.

-نتكلم هاتفيا. الآن عليّ الذهاب.

«عدت للمنزل لاأستطيع تحديد أفكاري كانت تهاجمني بشكل عشوائي ترفضني وأرفضها.»

كانت حليمة تحاول أن تخرجني من حالتي تلك ولكن دون جدوى، في المساء تكلم أحمد كنت أنتظر سماع صوته بكل لهفة أخبرني أنه سيأتي ليشرب القهوة معي.

-لا أحمد دعنا نذهب لمكان آخر أنا بحاجة لأستنشق الهواء أشعر بحالة اختناق.

-لك ذلك ربع ساعة وأكون عندك.

أتى أحمد وركبت السيارة شغل موسيقى هادئة كما أحب.

-إلى أين تحبين أن نذهب.

-كما تحب أحمد ولكن...

-ولكن ماذا؟؟، تكلمي...

-عندي الكثير، ولكن لا أعلم من أين أبدأ، ومع ذلك سأتكلم عن حبي لك و هو مانال مني، والأمر المحير فى علاقتى معك، أحب الاقتراب منك أشتاقك، وحين تقترب، أعدل عن شوقي وأهرب منك، حبي لك أخذ مسيرة البحر في مده وجزره.

-ولما كل هذا العناء أخبريني؟؟

- إنها تلك الحقيبة المملوءة بصور بشعة لانتهاك جسدي جعلتني أخاف أن أكرهك أخاف من تواصلنا في وضع ما قد أراك أحدهم.

- أحدهم من؟؟ قريبك أم زوج أمك أم محمود؟؟ حياةهؤلاء مجرد أشباه رجال بحياتك إنهم شياطين بملامح بشر.

-سؤالي لك هو من يجعل للموضوع حدًا في تفسيره

-ما هو؟ تكلم.

هل أحببت أحدهم؟

أحببت محمود ولكن.....

- ولكن حين علمت أنه يشتهي فيك الأنثى جسدًا، كرهت هذا الحب.

-ربما ما تقول هو ما حدث ولكن لم أستطع حينها تحديد سبب نفوري.

- إذا حبيبتي دعينا نخوض التجربة أعدك بأن تكوني سعيدة معي وافقي ودعي الأمر لي.

- هل أعتبر صمتك موافقة..؟

- أحبك ولكن...

- انسي تلك الكلمة..

«بقينا نتجول بالسيارة وبعدها طلبت منه أن يوصلني للمنزل، وحين وقفت السيارة طلبت منه أن يدخل ويشرب القهوة معي، فرح بطلبي ونزل من السيارة بسرعة خوفا من أن أغير رأي»

- فتحت لنا حليمة الباب ودخلنا إلى غرفة الجلوس وطلب أحمد من حليمة أن تصنع له القهوة.

جلس بجانبي يمسك يدي يتلمس أطراف أناملي بحنان لم أعرفه من قبل.. كنت أنظر إلى عينيه تنبهت أني لا أنظر معه لما تحت قدمي.. كنت أعيش إحساسًا جميلًا داخل عينيه، اقترب مني بلطف وضع ثغره على جبهتي وقبلني، شعرت أني طفلته المدللة لم أكن أريد أكثر من تلك القبلة، وعاد لجلسته وهو يمسك يدي بكل حب وحنان،

كانت تلك القبلة على جبهتي شعور بالأمان.

شرب قهوته واستأذن بالذهاب.

قبلني ذات القبلة التي عشقتها لا أنساها ما حييت، حجبت شبح الرجل الذي أكره، قبلته تلك قتلت الرجل الوحش بداخلي الذي هو مجرد غريزة وجنس وشهوة حيوانية تنتهي بشهقة أكرهها.

ذهب أحمد وتركني حالمة به، رميت بجسدي على السرير أخشى أن تسدل جفوني وتسرق مني لحظات الفرح الطفوليه الممزوجة

بحب نقي ولكن عيوني أبت إلا أن تنام، تهدلت جفوني وأطبقت رغما عني، كانت ليلة فيها الليل مختلفًا وحتى إشراقة الشمس أخذت نورها من عمق الحب، أفقت نشيطة على صوت فيروز وأغنيتي أنا لحبيبي وحبيبي إلي.

احتسيت قهوتي وسيجارتي ولبست وخرجت بابتسامة أخذت طريقها لشفتي دون عناء وخرجت من البيت كفراشة ربيع لا ترى عيناها إلا رحيق حبيب ينتظرها بكل لهفة وشوق.

وصلت المكتب سعيدة وبعيوني تلك اللمعة كنت أشعر بها لم أكن أعلم أني أختزن بداخلي كل هذه الطاقة من الحب، كان ينتظرني بلهفة لا تقل عن لهفتي بل أكثر هياما، استقبلني بابتسامته الساحرة وباقة الزهور التي بيده أعادتا إلىّ حياتي إلىّ أثمرت تربتي المتشققة من تأثير القحط، أعاد خصوبة الحياة إلىّ حتى أثمرت حبا ونبضا لا ينضب، شدني من يدي وقال:

- تعالي حبيبتي نحن اليوم في إجازة

وخرجنا من المكتب لأول مرة معا تشابكت أيدينا نركض كالأطفال جلست بجانبه بالسيارة مبهورة به تذكرت حينها كلمات كنت قرأتها للكاتبة أحلام مستغانمي ««الرغبة محض قضية ذهنية، ممارسة خيالية لا أكثر، وهم نختلقه في لحظة جنون نقع فيها عبيدا لشخص واحد، ونحكم عليه بالروعة لسبب غامض لاعلاقة له

بالواقع، رغبة تولد هكذا من شيء مجهول، رغبة جنونية تولد في مكان آخر خارج الجسد، ما أروعك أحلام تسكنين دائما داخلي في أوقات وحدتي لم يكن لي ونيس غير كلماتك اليوم فهمت لما أنا مشدودة إلى عمق سطورك بتلك الرغبة.

-حياة أين تشردين أكلمك ألا تسمعين؟؟

- أنا شاردة بك أحمد يبدو أني أفكر بك وأنت معي أليس هذا قمة الجنون ...!!

- لا هناك جنون أكبر تعالي معي

نزل من السيارة وفتح لي باب السيارة وأخذني من يدي وأنا معه أسير تحت تأثير إحساس بالنشوة العارمة، كل شيء يشبه الحلم، زرقة السماء، الشمس خجلة يلفها احمرار على وجنتيها، دخلنا مكتب محام وبالفعل تمت وبسرعة إجراءات الزواج وأنا مذهولة لا أعلم هل كان هذا حلمًا أم حقيقة، وأخذني إلى السوق واشترى لي ثوبا أبيض وأشياء كثيرة ولكن مالفت انتباهي أنه لم ينسى أي تفصيل يمكن أن تحتاجه عروس وعدنا للمنزل أخذنا حليمة إلى منزلنا وكانت حليمة أشد ذهولًا مني مع غبطة الفرح الواضحة عليها غيرت ملابسي وأخذني إلى أجمل مكان في الأرض شجر وشلالات مياه وأضواء خافتة كانت سهرة العمر بين رقص وهمس الحب

تصورت أني تحولت إلى أميرة وعدنا للمنزل كلانا تتفتح أساريره بزهور السعادة.

دخلت غرفتي غيرت ملابسي وحملني إلى سريري، قبلني ذات القبلة على جبهتي وضمني بحنان وبقي بجانبي حتى غفوت. طفلة أنهكها الفرح.نمت ملء عينياي أفقت صباحا على صوت فيروز ورائحة القهوة وأحمد بجانبي يلمس شعري بيديه الرقيقتين بحركة لاشعوريا، أمسكت رقبته بكلتا يدي عانقته فرحة لكوني تأكدت أن ماكان ليس حلما هو حقيقة، أنت أمامي، دموعي تنهمر لم أكن أعلم أن للفرح دموعًا ممتعة ليس فيها ملوحة القهر والحزن، تلاشى الخوف تلاشت كل معاني الحزن وأنا بين ذراعيه.

«حسان يتكلم بقهر والغيرة تنهشه يكاد يمزق الورق بين يديه وكأنه يحترق من حرارة غيرته، وبدأ يحدث نفسه ويح قلبي ماذا قرأت هنا أي وصف هذا أراك أمامي متيمة عاشقة، أشعر بنار الغيرة تنهش مقلتي، أتمنى أن أقتل أحمد هذا، حتى ولو كان ورقا، أشدك من بين يديه، أختطفك وأهرب بك من الماضي، أريد خطفك من بين تلك السطور قبل أن يلمسك،»»

يتابع حسان القراءة وهو يعض على شفتيه من الغيظ:

حملني أحمد وراح يدور بي الغرفة ويرقص بطريقة جنونية، ثم أنزلني ببطء دون أن يبتعد عني، كنا ملتصقين بل أكثر ماكان هو

التحام جسدين، أخذني بين ذراعيه بكل حنان، كان يتعامل معي كطفلته المدللة لم أجد بعينيه تلك النظرة الجائعة للتهام فريسة أمامه، لأول مرة أشعر أني بين ذراعي رجل راغبة به بل أشتهيه دون خوف أو اشمئزاز، لامس ثغره عنقي، انتفضت بين يديه أزفر التنهدات وكأني أفرغ ما في صدري من بقايا الماضي.

- حملني لغرفة النوم واستلقيت على السرير بدأ يفك أزرار قميصه وحين انتهى بدأ يقترب مني كنت مازلت بلهفتي إليه ولكن ما إن اقترب وحاول أن يقبلني من شفتاي حتى شعرت بتلك البرودة تجتاح جسدي ودموعي تنهمر مني وابتعدت عنه بذات الخوف والذعر إنه هو الرجل والشهوة لا أريد انتهاء حبي بالسرير، وقف مذهولا لما طرأ عليّ من تغير، ولكنه ابتسم وقال مابك حياة تعالي حبيبتي ونامي في سريرك تقدمت واستلقيت في سريري وأنا أرتعد بردا، قبلني من جبيني ومسك يدي بحنان وحب وقال نامي يا صغيرتي لن أفعل ذلك مرة أخرى وبقي جالسًا بطرف السرير لا أعلم متى خرج، غفوت وهو يمسك يدي ويلمس شعري بكل حب وكانت ليلة حزينة مؤلمة ما كنت أتمنى ان يحدث هذا.

وبقينا على هذا الحال وقتا أكثر من شهر، كل ليلة يبقى بجانبي حتى أنام وبعدها يذهب ويأتي في الصباح.

في ليلة كان يجلس بجواري ونسمع موسيقى هادئة أخبرني أنه استشار طبيبا بحالتي وأخبره بكل ما مر بي.

واخبره بمدى حبي له، وقال له الطبيب إنها حالة عارضة وبدأ يحدثني ويقول

- حياة انت ليس عندك مرض وهذه هواجس تأتيك لمجرد تذكرك لما حدث لك وأنت كارهة.

-هل هذا صحيح؟

-نعم أنا أخبرتك بكل التفاصيل.

-حسنًا أنت تحبيني أليس كذلك...

-وتسأل أحمد.!!وأنت تعلم أني لم أحب أحدا سواك..

-إذا اليوم يجب أن تهدئي ونحاول أن تجتاز مرحلة الماضي ونغلق الستار إلى الأبد هل تساعديني..؟

-أتمنى أحمد ولكن لا أعلم ما الذى يحدث لي، لا أعرف لماذا و افقد السيطرة على نفسي .

-إذا اسمعي حبيبتي اليوم نسهر ونرقص وإذا لم تقتربي أنت مني وعد لا أفعل أي شيء يزعجك.

ما رأيك..؟؟

-موافقة.

- ولكن معي دواء يهديء من روعك خذي منه حبة ودعينا نسهر ونرقص ونمضي الليلة بفرح وسعادة لا تفكري الإ فى أحمد حبيبك هل هذا صعب؟؟

- لا أعطني الدواء وأخذت الحبة وشغل المسجل ورقصنا كان يحكي لي قصصا مضحكة حينًا ويتغزل بي حينًا.

وحملني إلى السرير وجلس بجواري يمسك يدي يقبلني بلطف من جبهتي، وبلطف أكبر تقدم مني وقبلني من شفتي شعرت بروحي هائمة به وكأنه اختصر الزمن بتلك القبلة، واتحدا جسدانا، كنا بحالة خدران كامل، تحول الحطب المتيبس بين ذراعي أحمد إلى حطب دافىء مشتعل له لهيب رائع البريق خمري الحرارة سماوي التوهج تفتحت عندي حالة عطاء بلا حدود، وصلت حد الهذيان، شعرت به يتحول عروقا تتفجر، بكل نقطة حب تندثر في هذا الكون هي تلك حالة حب متكاملة بين ذراعي حبيبي، تناثرت أشلائي هو رماد أنثى عادت للحياة واشتعلت بعد سنين انطفاء، حبه جارف في عطائه وحنانه، لم يكن ذئبا جائعا هو حبيب معطاء كان شوقنا باتساع الكون والفضاء، أخذني بين ذراعيه بكل حب ووضع رأسي على صدره يداعب خصلات شعري.

ليلتها عرفت الجواب على سؤالي: لماذا خلقت البشرية على هيئة ذكر وأنثى أعطيت القدرة على التجديد في الحياة والانصهار الكامل وزرع في داخلها رغبة الإبداع الكوني، الذي يتجدد في كل شيء مطلق ويتجدد من شعاع البداية حتى سواد النهاية ولأول مرة أشعر أني خلقت بجسد وأني قادرة على التحليق بهذا الجسد إلى ما وراء السحاب، هي حالة حب ليس مثلها رأى بشر، شعرت بذلك التوهج وارتحل الزمن للحظة، كأنه لم يكن. شعرت ليلتها كان مولدي بين يدي أحمد وبرحيق قبلته تفتح عشقا بين يديه، وهمست له بصوت فيه الرجاء والتمني وبعض الخوف

- لن تتركني أحمد، لن تملني بيوم؟؟

- لا حبيبتي لن أتركك أنت أنثايا التي حلمت بها عمري وأنا رجلك الذي يعيش لأجل سعادتك.

طوقته بذراعي وقلت أن العمر لحظة جميلة بين أحضانك، اليوم أدركت أن تفتح شبابي لحظة ملامستك لي كان زفافي الذي طالما ظننته من نسج خيالي وربما كنت أراه طيفًا أخافه وبين الدهشة وبزوغ الفجر عشت أنوثتي كاملة دون انتقاص، عشت ذلك العمر بلمسة من جيدك الفتان وشعرت بلذة الحياة، ولدت أنثى على يديك حبيبي وتفتح الياسمين على شفتي حين قبلتها، أراد أن يتكلم وضعت يدي على ثغره وقلت له حبيبي، طوقني بذراعيك ودعنا نرحل بصمت دون كلام لاحاجة لنا بالكلام في سكون لأجد في اتساع صدرك

مكانا أشعر لانهاية فيه، وأغرقت رأسي في عنقه وتوقف الزمن هناك بين ضلوعه، اختبأت، وفي الصباح أفقت وكان أحمد قد سبقني وحضر القهوة كعادته وشغل فيروز وقبلني من جبهتي تلك القبلة التي أعشقها، تنهدت بعمق وطوقته من عنقه كطفلة تتمسك بفرحة تخاف عليها من الهرب، أخذ ينهال عليّ بالقبل، كان سعيدًا بتلك الومضات التى أقوم بها ومضى علينا وقت على هذا الحال حب وهيام عشق لايهدأ ولا يفتر وفي يوم أفقت وجدته يرتدي ملابسه يهم بالخروج

- إلى أين أحمد..؟

- إلى الشركة حبيبتي يجب أن نعود للعمل وأنت أيضا يجب أن تعودي للعمل وحليمة تهتم بأعمال المنزل.

شعرت بوخز في قلبي وكأن هناك من يسرق مني حلمي، قمت متثاقلة في حركتي كئيبة ربما خوفي من خروجه هو السبب، وهو يبتسم فى مرح، عدنا للعمل ولم يكن أحمد يبتعد عني وحبه كان فيضا من بحر يزيد وضحكت من مخاوفي وهواجسي تلك.